محاضرات مادة: نظرية العلاقات الدولية

السنة الثانية ليسانس – علوم سياسية

الأستاذ: *عبد الغاني دندان*

المحور الثاني: المحاضرة: 6

الليبرالية المؤسساتية الجديدة

لقد شهد المنظور الليبرالي تطورا كبيرا في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين خصوصا مع تطور نظرية الاعتماد المتبادل وتشابك العلاقات الاقتصادية الدولية، حيث أصبح ينظر إلى السياسة الدولية عبر نموذج "الشبكة العنكبوتية" Cobweb Model عوضا عن نموذج "كرات البلياردو" الواقعي.Billard-Ball Model

لقد تحول الليبراليون في الثمانينيات من القرن الماضي إلى الاهتمام بالمؤسسات الدولية لتضطلع بعدد من الوظائف التي لا تقوَ الدولة على القيام بها. وكان هذا هو العنصر المساعد لنظرية التكامل في أوروبا والتعددية في الولايات المتحدة الأمريكية. وعلى خلاف الرؤى الواقعية إزاء الأمن الدولي مثلا التي أهملت وشككت في دور المؤسسات الدولية في معالجة النزاعات ومنع اندلاع الحروب باعتبارها محصلة لمصالح الدول وقيود النظام الدولي، فإن الليبراليون الجدد يؤكدون على دور هذه المؤسسات في تحقيق التعاون والاستقرار لأن بوسعها

> **"توفير المعلومات وخفض تكاليف العمليات وجعل الالتزامات أكثر موثوقية وإقامة نقاط تركيز من أجل التنسيق. وتعمل بصفة عامة على تسهيل إجراءات المعاملة بالمثل."**

فتسيير علاقات الاعتماد المتبادل يستوجب بناء مجموعة من القواعد والإجراءات والمؤسسات المشتركة أو المنظمات الدولية القادرة على إدارة التفاعلات في مسائل مختلفة من الحياة الدولية مشكلة بذلك ما يعرف بـــ "المنظومة الدولية"International Regim

مفهوم المنظومات الدولية:

استعير مصطلح المنظومات الدولية من السياسة الداخلية، وهو على الصعيد الدولي يشير إلى تحقيق درجة من الترتيب والتنظيم في العلاقات الدولية. ويعد Stephane Krasner من بين الذين أثروا أدبيات المنظومات الدولية أين يعرف هذه المنظومات على أنها بمثابة:

"مبادىء بينية أو ضمنية، معايير، قواعد وإجراءات صناعة القرار، والتي حولها تلتقي آمال الفاعلين في مجال معين من العلاقات الدولية."

ويؤكد الليبراليون الجدد على أهمية العديد من القضايا كمسائل الثروة والرفاه والبيئة، كما ركزوا على بناء المؤسسات وإيجاد الأنظمة والبحث عن المكاسب المطلقة بدلا من المكاسب النسبية. واعتقادهم بأن المؤسسات الدولية في مقدورها التأثير في سلوك الدول والتغلب على تأثيرات الفوضى لا يعنِ أن المأسسة الدولية في استطاعتها منع حدوث الحروب، لكن بوسعها تخفيف مخاوف الغش وتلطيف المخاوف التي تنشأ في بعض الأحيان من المكاسب غير المتكافئة المنبثقة عن التعاون. كما باستطاعتها المساعدة للتغلب على النزعة الأنانية للدول بتشجيعها على ترك المصالح الآنية لصالح فوائد أكبر للتعاون الدائم.

وتجدر الإشارة إلى أن منظري هذا النوع من الليبرالية من أمثال: "كيوهان"Keohane ،"أوي"Oye ،"ناي" Nye،"أكسلرود" Axelrod قد طوروا أفكارهم في استجابة واضحة لنظرية "والتز" Waltz المتعلقة بالواقعية الجديدة وهو ما جعل المذهب المؤسسي الليبرالي الجديد يبدو أقرب إلى الواقعية المعاصرة منه إلى التفكير الليبرالي بشأن العلاقات الدولية. وهو ما حدا بالبعض إلى تسميته بـــ "الواقعية اللينة"Soft Realism في إشارة لتقاسمه كثيرا من افتراضاته مع الواقعيين؛ فنظرية النسق الوظيفي عند Robert O. Keohane [1984] وأغلب الاتجاهات المؤسساتية (أعمال ستيفن كراسنر [1983] ، دونكان سنيدال [1986]) تشترك مع واقعية Waltz [1979] في الافتراضات القاضية بأن الدولة فاعل موحد وعقلاني، لها خيارات ثابتة. وبأنها-أي الدول-تعتبر فاعلا أساسيا في السياسة الدولية، وبأن المكاسب الدولية تتجه نحو التعاظم نتيجة لبعض أنماط التفاعل الاستراتيجي. كما أن المحددات الأساسية للتغير في سلوك الدولة هو التغير الثابت في بنية النظام الدولي. وعليه فالواقعية الجديدة عند Waltz ونظرية الأنساق عند Keohane مرتبطتان بشكل كبير لتركيزهما على أهمية اللايقينية والمعلومات، ولو أن Waltz يستقي الوضعية المعلوماتية الدولية من القوة و Keohane من الصفقات والمؤسسات.

وعليه، وتبعا لذلك، فقد جاز للجيل الجديد من أتباع الليبرالية أن يحتفي بإنجازاته في توضيح إمكانية التعاون الدولي حتى في ظل العالم الكئيب للواقعية كما يصفه "أوي" Oye وقد عبر "كيوهان"Keohane عن هذا بقوله:

"إن تبني فرضية الأنانية العقلانيةRational Egoism يضع النقاش في هذا الكتاب [After Hegemony] على نفس أساس النظريات الواقعية، ويكمن النقاش هنا أن أهمية الأنساق الدولية لا تعتمد على تهريب الفرضيات الخاصة بالإيثار واللاعقلانية. إنني حين أبدأ بنفس المقدمات المنطقية لمثل هذه الحوافز، فإنني أسعى إلى إظهار أن تشاؤم الواقعية عن التعاون الذي يزيد الرفاهية أمر مبالغ فيه."

وقد تعزز الطرح الليبرالي المؤسساتي مع توجه العديد من الدول إلى التكتل في مؤسسات ذات صبغة اندماجية كالإتحاد الأوروبي، بالإضافة إلى تضاعف الجهود لفهم التعاون الدولي في إطار عام وموسع وذلك من خلال الاعتماد على مفهوم "تعددية الأطراف"Multilateralisme والتي تدرك بحسب "روجي"Ruggie

"كمبدأ منظم للحياة الدولية، فهي شكل مؤسساتي ينسق العلاقات بين الدول على أساس مبادىء معممة للسلوك."

فبفعل تنامي ظاهرة الاعتماد المتبادل، فقد كثرت المبادرات الدولية ذات البعد المؤسساتي قصد تنظيم الحياة الدولية وتسيير نسق واسع من التغيرات الإقليمية والعالمية. ويبقى الاتجاه المستقبلي للاتحاد الأوروبي وعمليات التكامل على الصعيدين الإقليمي والعالمي حالات اختبار حاسمة بالنسبة للمذهب الليبرالي المؤسسي.

غير أن هذه النظرية لم تسلم من النقد، فالطرح الجوهري لها بحسب "والت" Walt قد فقد الكثير من بريقه مع الوقت؛ إذ أن المؤسسات أصبح ينظر إليها كعامل مسهل للتعاون طالما أن ذلك يتماشى مع مصلحة الدول، لكنه أصبح من الواضح الآن أن المؤسسات لا تستطيع فرض سلوكيات معينة على الدول إذا كان يتنافى مع مصالحها الأنانية. وعليه، فقد قام المؤسساتيون من أمثال جون بافيلد وروبرت ماكالا بتوسيع النظرية لتشمل مجالات متعددة. أين أوضحوا ضمن دراسة منظمة حلف شمال الأطلسي، أن خاصية المأسسة العالية للناتو هي ما يفسر سر بقائه وتكيفه مع التغيرات بالرغم من اختفاء خصمه التقليدي.